تحدث عدد من الأدباء والنقاد والإعلاميين الذين عرفوا الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين عن كثب، مزاملة، أو تتلمذا عليه، عن مناقبه، ومميزاته الشخصية، وإسهاماته في ساحة الأدب والنقد في المملكة العربية السعودية، بما يؤكد أن الراحل كان ذا همة عالية، ورؤية واضحة، ومخلصا في عمله، ومبدعا في نتاجه، وكان أثره فيمن حوله كالشمس المشرقة التي يصل ضوؤها إلى الجميع، فرحمه الله رحمة واسعة، وجعل ما قدمه علما نافعا في ميزان حسناته. وفيما يأتي الشهادات التي قمنا بجمعها وتنسيقها من مصادر متعددة:

محمد بن سعد بن حسين
في عيون الأدباء والنقاد

إعداد: التحرير

عالم وأديب وباحث يتعشق الكلمة والحرف

يقول المحقق **الدكتور عبدالله العسيلان** رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي، وأستاذ الأدب وعلوم اللغة العربية في كلية الدعوة بالمدينة المنورة، الذي كان من أوائل من زامل الدكتور ابن حسين وعرفه عن قرب:

الدكتور محمد بن سعد بن حسين أديب وباحث وأستاذ جامعي له مكانته السامقة في الأوساط العلمية والثقافية والجامعية، بدأت معرفتي به في رحاب كلية اللغة العربية بالرياض منذ عام ١٣٩٧هـ، حيث عدت من البعثة وعينت أستاذاً مساعداً بالكلية، والدكتور محمد هو أحد أركانها الراسخة، وقد عاصرته وهو رئيس لقسم الأدب بالكلية.

العسيلان

وفي هذا المحيط النابض بالعلم والأدب والثقافة عرفت الدكتور محمد عن كثب؛ عرفت فيه عالماً وأديباً وباحثاً يتعشق الكلمة والحرف، ويعيش معها بعقل واع، وإدراك واسع المدى لما تنطوي عليه فيوض العلم والمعرفة. وتجلى ذلك واضحاً بحركته الدؤوبة في البوح بمكنون وعيه المعرفي وحسه الأدبي فيما شهدت له الساحة العلمية والثقافية من مساهمات ومشاركات أدبية وثقافية وعلمية تمثلت في جوانب عديدة.

من أبرز مؤلفاته: كتابه الذي حصل به على درجة الدكتوراه وهو (الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية) هو دراسة علمية أدبية تناولت علماً من أعلام العلم والثقافة في نجد، وقد جلى لنا الباحث في دراسته الجوانب المتعددة التي تميط اللثام عن إبداعات ابن

بليهد في الأدب والعلم والثقافة، وتعد هذه الدراسة مصدراً هاماً في بابها.

اضطلع بالمنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي

ويبرز الناقد **الدكتور حسن الهويمل** الرئيس السابق للنادي الأدبي بالقصيم، وأستاذ الأدب الحديث بجامعة القصيم، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض.. حرص ابن حسين في دراسة الأدب السعودي وإشاعته في الأوساط الأكاديمية فيقول:

الحديث عن أديب رائد مثل محمد بن سعد بن حسين حديث متشعب، وللكبار عدة زوايا، والكاتب كالمصور يحار من أي الزوايا يلتقط الصورة.. وحين طُلب مني الإسهام في هذه اللفتة الإنسانية، لم أجد الجهد والوقت الكافيين لتقصي أبعاد أدبه وإسهاماته، ولاسيما أن الفضل له في حصولي على الدكتوراه، فلقد حثني على المواصلة، وسعى في أوراقي، وأشرف على الرسالة، وكان نعم المعين ونعم الموجه!.. ثم هو قبل هذا وبعده صديق عزيز نحمل معاً همّاً مشتركاً ورؤية متقاربة.

الهويمل

الشيء الذي يحسب لجامعة الإمام وللرواد فيها أمثال إبراهيم الفوزان وعبدالعزيز الفيصل وناصر الدخيل ومحمد الربيع ومحمد الفاضل ومحمد الفيومي وآخرين أنهم أحرص الناس على دراسة الأدب السعودي وإشاعته في الأوساط الأكاديمية. ولقد كان لجهودهم المباركة الأثر الحسن، فلقد اتجه طلاب الدراسات العليا لدراسة الأدب السعودي، واستحضار رموزه وقضاياه، وهذا الاستدعاء أنهى عقوداً من النسيان والتهميش، فالأدب السعودي ظل ردحاً من الزمن خارج المنهج، وكانت الآداب العربية حاضرة الدرس في جامعاتنا، ولولا هذا الفريق المبارك لما بادر الحضور، ولما اهتم به أدباء العالم العربي ونقاده.. تلك واحدة من مآثر الأستاذ الدكتور محمد بن سعد ابن حسين.

أما المأثرة الثانية فهي اضطلاعه بالمنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي في المملكة واستحضاره لمنهج كاد ينقرض لولا جهود الدكتور شوقي ضيف، والمنهج التاريخي في دراسة الأدب ضرورة ملحة، لأن العزوف عنه إهمال لجانب مهم من حياة الأدباء.

ومما يحمد للرواد تمسكهم بتراثهم واعتزازهم بمناهجهم واحتفاؤهم بما جد من مناهج وآليات، وأحسب الدكتور محمد بن سعد بن حسين من أولئك الرواد الذين ثبتوا الأفئدة والأقدام، واستطاعوا أن يحافظوا على لحمة الأدب العربي وآلياته النقدية، ولم يلتفتوا إلى المتسرعين، ولا إلى المتذوقين الذين لا يصبرون على طعام واحد.

وعن كتبه ومصنفاته يقول الهويمل: والأستاذ الدكتور الحسين خلّف للمكتبة الأدبية داخل المملكة وخارجها مجموعة من الكتب والدراسات التي تحسب على التراث والأدب السعودي، وإسهاماته المتسمة بهذه السمات ستظل مرجعاً للدارسين والباحثين في الأدب العربي في المملكة.

ولقد كانت له إسهاماته المشكورة في نشاطات نادي القصيم الأدبي ببريدة إبان رئاستي له، فلقد استضافه النادي في كل عام مرة أو مرتين، وطبع له بعض الكتب والمحاضرات.

خلّف مكتبة فكرية للأجيال تذكر بإبداعاته

ويقول **الأستاذ الدكتور محمود حسن زيني** الأستاذ في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة

المكرمة، وعضو الهيئة الإدارية بالمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المملكة:

لقد كان الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين علماً من الأعلام المشاهير على الرغم من تواضعه، وخلف مكتبة فكرية للأجيال تذكر بإبداعاته، وكان نصيراً للأدب الملتزم، ومحباً للأدب الإسلامي، وتنوعت ثقافته، ولا أبالغ إذا قلت: إنه جاحظ العصر لما لديه من الإبداعات الفكرية. وحقا فقدنا عالماً ومفكراً ومبدعاً قلما نجد له نظيراً بين أقرانه.

كان د.ابن حسين نابغة عصره، ولم يترك مناسبة من المناسبات الأدبية كالجنادرية والمؤتمرات الأدبية في المملكة وخارجها إلا وله الباع الطويل فيها. وكم كنت أتمنى أن يمنح جائزة الدولة التقديرية! وإن كنا نختلف معه في بعض آرائه إلا أننا نكنّ له كل حب واحترام ومودة.

زيني

وترجل أستاذ الأجيال

وقال **الدكتور علي بن محمد الحمود** الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام:

وترجل أستاذ الأجيال عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين (رحمه الله) عن جواده، بعد حياة مليئة بالعطاء والإنجاز. رحل وبقيت آثاره ماثلة، نطالعها في طلابه أساتذة الأدب والنقد في كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفي غيرها من الجامعات السعودية، ونستحضر آثاره -أيضاً - في مؤلفاته النقدية المتنوعة.

شخصية أستاذنا ابن حسين شخصية تمثل أنموذجاً فريدا يحتذى للأجيال، واجه فَقْدَ البصر بقوة، وتغلب على الصعاب، وواصل دراسته العليا في مصر، وكان من أوائل الأساتذة المتخصصين في الأدب السعودي: دراسة وتدريساً، أشرف على عشرات الرسائل وناقش مثلها.

اتسم (رحمه الله) بالذكاء، وكان يملك حافظة قوية، ورغبة صادقة في تحقيق النجاح، كان صبوراً وحليماً ومعطاءً، يمضي الساعات مع طلابه الذين يشرف عليهم في الاستماع إلى ما كتبوا، والتعليق والتوجيه دون كلل أو ملل. كان يقدم نقده لهم بأسلوب أبوي توجيهي، يخاطب طلابه بكلمة (ابني)، وهذه الكلمة العفوية الصادقة كانت كفيلة بكسر الحواجز. وهي مفتاح من مفاتيح شخصيته المتعددة.

الحمود

ابن حسين -رحمه الله- متعدد المواهب: ناقد وأديب، له عشرات الكتب النقدية التي خصصها لدراسة الأدب السعودي والعربي، والأدب الإسلامي، وهو شاعر وكاتب مقالة، وله مشاركات عدة في الإذاعة السعودية، عرّف من خلالها بمئات الكتب الأدبية والثقافية المحلية، وخاض تجربة كتابة الرواية.

وكان من رواد الأدب الإسلامي، ومن أوائل الدعاة إليه، وقد ترك عدة كتب فيه.

فقدنا ابن حسين، وعزاؤنا في آثاره وإنجازاته، وسيظل حاضراً في ذاكرتنا الثقافية والأدبية، فلا يمكن لمن أراد الحديث عن تاريخنا الأدبي والثقافي أن يتجاوز ابن حسين (رحمه الله).

يمثل بناء الهمة والعزيمة للأجيال

ويتحدث الأستاذ **الدكتور مسعد العطوي** الذي عمل رئيساً لقسم الأدب بكلية اللغة العربية بجامعة

الإمـام محمد بن سعود الإسلامية، ورئيسا للنادي الأدبي بمنطقة تبوك، وهو عضو هيئة التدريس بجامعة تبوك حالياً؛ فيقول:

عرفت العالم العصامي الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين. في مكتبات مصر، وشاء الله أن يكون مشرفاً على رسالتي الدكتوراه في الرياض. والحديث عن ابن حسين يطول؛ فالرجل عرفته مستثمراً للزمن، حريصاً عليه، علمني تعليماً عملياً كيف ينظم أوقاته من خلال مشاهدتي له، فهو الباحث الدائم، أو لنقل هو السابح في محيط العلم، فما تراه إلا في بحر العلم باحثاً في الكتب، أو مستمعاً لحوار، أو متحدثاً، أو هو يملي ويملأ الصحائف. ومنزله روضة علم، ومكتبه في الجامعة روضة علم، ومجالسه منتدى معرفي.

العطوي

مكثت مع أستاذي محمد ابن حسين سنين طويلة فلم أجده إلا منبعاً للعلم أو ناهلا منه، وهو مع ذلك رجل له تواصله الثقافي والمجتمعي، وقد كان من مؤسسي قسم الأدب حتى تصدر هذا القسم في كلية اللغة العربية عطاء وإنجازا وكشفاً عن الأدباء والمفكرين، فالرسائل الجامعية التي انبثقت عن هذا القسم عرفت بالأدباء والأدب السعودي.

ويمضي العطوي قائلا: والدكتور ابن حسين رجل وطني، فهو احتضن طلاب العلم وطلاب الدراسات العليا وأخذ بأيديهم لاختيار الموضوعات، ودفع بهم واستحثهم على الإنجاز، فقد تجاوزت الرسائل التي أشرف عليها وناقشها سبعين رسالة. وطلابه تجدهم في الجامعات، والإعلام، وفي سائر مناطق المملكة.

إن الدكتور ابن حسين يمثل بناء الهمة والعزيمة للأجيال التي بنت حضارتنا المعاصرة.

برنامجه «من المكتبة السعودية» استمر ربع قرن في ألف حلقة

ويقول **الدكتور محمد العوين** كبير المذيعين في التلفزيون السعودي، وعضو هيئة التدريس بقسم الأدب في جامعة الإمام متحدثا عن زيارته مع ثلة من زملائه وطلاب الدكتور محمد بن سعد بن حسين في منزله بالرياض:

كانت زيارتنا الأخيرة أنا وجمع من الزملاء الفضلاء إليه في منزله بحي النخيل غير مشجعة، لم نجد أستاذنا الجليل الدكتور محمد بن سعد بن حسين ذلك المرحب المهلل المتدفق حيوية ونشاطا؛ كان أستاذنا... جالساً في مكتبته شبه نائم، ويمد يده إلى من يسلم عليه في كسل. أما أحاديثنا التي كانت في مجملها مداعبة ومزاحا رغبة في التسرية عنه وإشراكه معنا في الحديث لم تجد لديه صدى، كان بيننا ولم يكن معنا!.

العوين

ويحدث د.العوين عن ذكرياته مع ابن حسين قائلاً:

طافت بي ذاكرتي وأنا أتأمله مستعيدا أول لقاء لي به قبل ستة وثلاثين عاماً، أي في سنة ١٣٩٧هـ حين فاجأنا على غير علم به ولا معرفة سابقة رجل كفيف البصر يناهز الكهولة، أنيق مرتب الهندام، بلحية سوداء خفيفة مهذبة، وشارب معتدل الطول والكثافة، ربعة معتدل القامة بين القصير والطويل، يرتدي مشلحا ذا لون عودي على شماغ أحمر وجزمة بنية، ويلبس نظارة قاتمة اللون حالكة السواد، كان هذا الدكتور الجديد

الذي قدم لتوه كما تحدث إلينا بعد البسملة والتحية متخرجاً في كلية اللغة العربية بالأزهر، وسيتحدث إلينا نحن طلاب السنة الثالثة عن بدايات عصر النهضة الأدبية في الوطن العربي والعوامل المؤثرة التي ساعدت على انتقال الأدب من حالة التقليد والركود في العصرين المملوكي والعثماني إلى انطلاقات التجديد...

وبدأت الصلة بأستاذي تتصاعد وتنمو؛ ومن حسن الحظ أن اختارتني الإذاعة لأقدم برنامجه «من المكتبة السعودية» الذي بدأت أولى حلقاته في ١٣٩٩/٩/١هـ، وكانت الأولى عن كتاب «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان» لإبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن، وعمّر طويلا إلى أن نيف على ألف حلقة في عام ١٤٢٤هـ، حيث سجلت معه بعد تلك السنين حلقة احتفالية خاصة مدتها نصف ساعة عن أسلوبه في إعداد البرنامج.

الحيدري

ويقول الدكتور العوين عن هذا البرنامج الإذاعي: إن ابن حسين بدأبه الطويل على تقصي المكتبة السعودية خلال ربع قرن عبر برنامجه يكاد يكون شمل كل الإصدارات السعودية على اختلاف مناحيها، وهو جهد غير قليل، صدر منه «كتب وآراء» وبقي حسب علمي ما يغطي عشرة مجلدات لو طبعت!..

ويتابع العوين قائلاً: ويشاء الله أن يكون مشرفاً عليّ في كل مراحلي الدراسية؛ حيث أشرف علي عام ١٤٠٠هـ في بحث التخرج عن الشعر السعودي، وفي الماجستير عام ١٤١٠هـ عن المقالة في الأدب السعودي الحديث، وفي الدكتوراه عام ١٤٢٠هـ عن صورة المرأة في القصة السعودية.

لن أنسى لابن حسين حرصه على طلابه، وحثه لهم على سرعة الإنجاز، وفضله لا يمكن أن يغفل عنه منصف على الأدب السعودي، فهو صاحب الفضل في تخصيص هذا الأدب بفصل دراسي كامل في المستوى الثامن، وهو أيضا المفكر المقترح لكثير من موضوعات الدرس للباحثين في هذا الأدب.

درست على يديه مقرر «الأدب الإسلامي»

ويكشف **الدكتور عبدالله الحيدري** رئيس النادي الأدبي بالرياض، وعضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام، والمذيع بإذاعة الرياض سابقاً: تعلقه بأستاذه ابن حسين الذي ألح عليه أن ينتقل من عمله بالإذاعة إلى كلية اللغة العربية لقدرته على العطاء، فيقول:

لقد كنت من المحظوظين الذين نهلوا من علم الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين، ولازموه، وعملوا معه، وتعود صلتي ومعرفتي الأولى به إلى عام ١٤٠٣هـ تقريباً عندما زرته في كلية اللغة العربية بمقرها القديم (شارع الملك فيصل/الوزير)، وكان رئيساً لقسم الأدب، وكنت وقتها طالباً في المرحلة الجامعية بكلية الآداب - جامعة الملك سعود، وجئت إليه راغباً الانتقال من كليتي إلى كلية اللغة العربية، غير أن الأمر لم يتم؛ لأنني صرفت النظر عن النقل بعد ذلك. ثم توطدت العلاقة بأستاذنا عندما كنت أعمل مشرفاً على الصفحات الثقافية بجريدة المسائية ومذيعاً بإذاعة الرياض في الوقت نفسه، فأجريت معه حواراً عام ١٤١٠هـ، ولقاءات إذاعية في برنامج «كتاب وقارئ»، وفي برامج أخرى كثيرة آخرها برنامج «أسئلة في اللغة والأدب» عام ١٤٢٣هـ.

وعندما التحقت بالدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١١هـ تقريباً درست على يديه مقرر «الأدب الإسلامي»، ثم أصبحت أتردد على بيته كثيراً لاستشارته في أطروحتي للماجستير «السيرة

الذاتية في الأدب السعودي»، وأشهد أنني استفدت كثيراً من آرائه وأفكاره في التخطيط للموضوع.

وعندما تحدد موعد مناقشتي في الدكتوراه عام ١٤٢٣هـ كان أحد المناقشين بوصفه من أبرز المتخصصين في الأدب السعودي، وتزودت أثناء المناقشة بالعديد من الملحوظات القيمة التي تأتي منه في سياق تربوي أبوي لا أثر فيه لمسافة بين أستاذ وباحث كبير، وباحث صغير!.

وعقب الحصول على الدكتوراه ألح عليّ أن أنتقل من عملي في وزارة الإعلام إلى قسم الأدب بكلية اللغة العربية، وهكذا كان عندما صدر القرار عام ١٤٢٦هـ، فصرت قريباً منه ألقاه كل يوم تقريباً في الكلية، وأشترك معه في اللجان وفي حضور جلسة القسم العلمية.

وهذا القرب من أستاذنا شجعني على أن أعمل شيئاً له مقابل أفضاله الكثيرة الجمة، فيسر الله تأليف كتاب عنه في عام ١٤٢٨هـ، وعنوانه «محمد بن سعد بن حسين: ببلوجرافيا».

ويتساءل د.الحيدري ويجيب قائلاً: ماذا يمكن أن نصنع لأستاذنا الكبير الدكتور محمد بن سعد بن حسين؟ إن الواجب على المؤسسات العلمية والثقافية أن تكرمه وأن تعقد عن جهوده حلقات نقاش تلقي الضوء على أعماله وتذكّر الشباب والأجيال الجديدة بأعماله؛ وأهيب بزملائي في كرسي الأدب السعودي التابع لجامعة الملك سعود، وبأستاذ الكرسي الزميل الدكتور صالح ابن معيض الغامدي عميد كلية الآداب أن يفكر في عمل شيء يليق بالرجل، كإعادة طباعة كتابه الرائد «الأدب الحديث في نجد» الصادر في عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م، أو إقامة ندوة تكريمية له.

لمست في صوته.. صوت الأرض والوطن

وتقول **الدكتورة عائشة الحكمي** الأستاذة بكلية التربية، الأقسام الأدبية (وكالة كليات البنات سابقا)، جامعة تبوك حاليا؛ وهي تذكر طمأنته لها بأبوية حانية أثناء مناقشتها رسالة الماجستير، وتذكر المؤسسات بتكريمه فتقول:

تكريم أعلام الثقافة بين فترة وأخرى أو في حالات الابتلاء والمحن واجب على المهتمين بهذه الفئة المميزة، والدكتور ابن حسين قامة علمية عالية أسهم في تخريج الكثير من أبناء وبنات بلادنا من حملة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه وأنا واحدة منهم، وآخرون لم يشاركوا في هذا التحقيق - حظيت به عضواً مناقشاً لبحثي الماجستير، أذكر حين وصل الفندق بجدة سألت عنه لأتلمس منه بعض الطمأنينة فكان رده كذلك حين قال: ثقي أنه طالما وافق أعضاء المناقشة على تحديد موعد المناقشة، فالباحث والبحث في أمان!.. فسرت طمأنينته الأبوية في ذاتي، واشتراكه في مناقشتي كان مكسباً كبيراً لبحثي.. لذلك كلماتي هذه عربون وفاء أقدمها له... وحقه علينا - طلاب العلم - أن نتذكره بالدعاء في كل حين.

أذكر مرة أني حضرت إحدى مناقشاته فإذا به ينفعل وتأخذه الحماسة في الرد على الباحثة بسبب لفظة (بداوة) وردت في بحثها تصف المجتمع السعودي قبل النهضة، فثار وحاول شرح تداعيات المفردة للباحثة بكثير من الرفض لوسم مجتمعنا بهذه السمة.

فلمست في صوته صوت الأرض والوطن يسكن أعماق روحه، كيف لا!؟.. وهو أول أستاذ ينادي بتدريس (الأدب السعودي) في الجامعات السعودية.. وهو أول من درس المقرر لثقته أن النتاج الأدبي السعودي مثله مثل الأدب العربي في كل الأقطار العربية. منبع هذه الثقة - كما أرى - رؤيته التي كانت ثاقبة لمستقبل الأدب المحلي الجدير بالمنافسة والتفوق. والدليل على ذلك الأعداد الكبيرة لرسائل الدراسات العليا حول الأدب السعودي الذي راهن عليه في بداية تطوره..

وعما يحتاجه ابن حسين في نظر د.عائشة الحكمي فهو: التكريم عبر وسائل الإعلام المرئي والمسموع بإعداد برامج تبرز تسخير عمره في خدمة ثقافة بلادنا، وأن تسمى إحدى مكتبات الجامعات باسمه، وأن تكتب سيرته من خلال تلاميذه المقربين للوقوف على مرحلة الكفاح عند المثقفين إذ يمثل أحد المثقفين العصاميين وهم كثر.

رمزية نوعية في الدراسة التاريخية للأدب السعودي

الوشمي

ويرى **الدكتور عبدالله الوشمي** رئيس نادي الرياض الأدبي سابقا الأمين العام لمركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية أن الدكتور ابن حسين يمثل رمزية نوعية في مجال الدراسة التاريخية للأدب السعودي، وما يتصل بها من جوانب ثقافية واجتماعية واكبت الجيل النوعي الذي ينتمي إليه.. لافتا إلى أن الفقيد أجرى المسح التاريخي والجغرافي والثقافي في الإطار الأدبي، ما مكنه من دراسة مجمل الحياة الأدبية في المملكة أو التخصص في بعض الشعراء أو الأدباء بشكل خاص، مثل ابن بليهد أو حمد الحجي أو غيرهما.

وبين الوشمي أن الدكتور ابن حسين تميز برمزية أخرى تتصل بحضوره في المشهد الأكاديمي لسنوات طويلة، ما منحه فرصة المتابعة والرصد الدقيق للحركة الأدبية في الجامعات السعودية، حيث واكب تحولات الدراسة الأدبية والتخصص في الأدب السعودي، إضافة إلى الإشراف المتنوع والمناقشة لعدد واسع من الرسائل الأكاديمية، وبعض طلابه هم من قادة الدراسات الحديثة للأدب السعودي.

أشهد له بجمال الأسلوب، وعمق الفهم، والإنصاف..

يقول **الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي**.. الناقد الموسوعي المعروف.. ورئيس رابطة الأدب الحديث بمصر.. في خاتمة «كتاب الأدب الحديث في نجد»:

خفاجي

«دراسات طويلة شائقة فيها خصوبة وجدّة وثراء، وفيها أضواء كاشفة لمعالم الأدب الحديث في نجد في شعره ونثره لابد للدارسين أن يستضيئوا بها لكشف الطريق ومعرفة الأبعاد، وإيضاح الصور، ومن ثم كان لابن حسين فضل وأي فضل بما قدَّم لقراء العربية وآدابها من زاد خصب ودراسات مفيدة، وأشهد للمؤلف بجمال الأسلوب، وحسن الذوق، وسعة الإدراك، وعمق الفهم للقضايا التي درسها في كتابه، وهو مُنصف في كثير من أحكامه، مجيد في كثير من جوانب دراسته، متأنٍّ غاية التأني في إبداء الرأي.. حتى يقدم له الحجج، ويمهد له الأسانيد، وأعده مفخرة من مفاخر الأدب المعاصر في نجد، وأحد الخريجين الممتازين من كلية اللغة العربية بالرياض، وهي كلية تخدم اللغة العربية والأدب العربي بكل ما تستطيع، وتربي أجيالا من العلماء الذين سوف يكون لهم أثر صدقٍ في بناء النهضة، وتكوين الأمة، وخدمة الإسلام والمسلمين».

كتابه «الأدب الحديث في نجد» باكورة طيبة في وضع الموازنات الناقدة

ويقول عنه **د.عبد السلام سرحان**: أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر، وأحد علماء الأزهر الكبار منوِّهاً بمكانته العلمية والنقدية... ومشيداً بكتابه «الأدب الحديث في نجد»: «ومما لا شك فيه أن المؤلف يمتاز بأسلوب جدّ ساحر، وبمنطق يأسر الخواطر، وبآراء لها من الرصانة والزكانة والفطانة.. ما يدفعها إلى أعلى المكانات. وقد تحدث في محاضراته الزاخرة حديث العالم المتمكن في علمه، المتثبت من كلمه، وقدَّم بين يدي هذه المحاضرات ما يدل على سعة باع، وطول ذراع، وقوة ابتداع، وكان إلى التجديد أقرب منه إلى التقليد والتقييد، بمعنى أن آراءه كانت بنت بحثه ودرسه، ووليدة جهده في يومه وأمسه، ولم تكن من بنات أفكار أحد سواه، وجاءت دراسته صورة من الإنتاج الفكري الدقيق، القائم على المنطق والحجة والبرهان، والكتاب باكورة طيبة في وضع الموازنات الناقدة، وصنع الآراء المسدَّدة.

أبو مدين

نفس عصام سودت عصاما

ويقول **الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين** رئيس النادي الأدبي الأسبق بجدة، في حفل تكريمه بالثنينية الشيخ عبد المقصود خوجه:

نحتفي الليلة بأستاذنا الدكتور محمد بن سعد بن حسين، وهو رجل عصامي طموح يصدق عليه قول الشاعر: نفس عصام سودت عصاما.

وهو أهل للتكريم والاحتفاء، وحب الوفاء، لأنه يبزغ من وفاء الحب، ويمتح من حب الوفاء جهده بإرادة جادة صادقة، لأنه عاش للجمال الذي يقرؤه في فن أمته، فتمثل فيما يكتب ويتحدث. وهو رجل أنيس لأنه أديب، فالجمال في نفسه طبع، وأدب النفس أبقى من أدب الدرس.

شخصية مسكونة بالمعاناة والإصرار والعزيمة

ويقول **الأستاذ عبد المقصود خوجه** صاحب الاثنينية:

الدكتور محمد سعد بن حسين شخصية مسكونة بالتعب والمعاناة والإصرار والعزيمة، ما وصل إليه من درجات علمية نتيجة هذا التعب وهذه المعاناة، والإصرار لبلوغ الهدف، ونتيجة الإرادة الكبيرة للوصول إلى الغاية التي رسمها وحققها بعرق وجهد كبير.

خوجه

عرف أستاذنا الكبير بموضوعيته ومصداقيته فيما كتب، وعرف بعفة لسانه وبعفة قلمه، فلم نر له قط إلا البحوث القيمة والموضوعية في كل ما كتب وما قدم من نقد، وهذا شأن الكبار دائما من العلماء.

رجل فيه سماحة.. وطلاوة.. وملاحة

ويقول الأديب **الأستاذ محمد حسين زيدان** مستثمرا توافق اسمه مع اسم ضيف الاثنينية، وكان قد ضعف بصره قليلا:

ليس غريبا أن يكرم الأعشى محمد حسين ذلك البصير محمد بن حسين، أكرمه وأنا صديقه، هو الذي أكرمني بالصداقة، أنيس المحضر، ما جلست إليه إلا وتعلمت منه، فمازلت طالب علم، وقد ارتفع هو أستاذا على طلاب العلم، نشأ في جو؛ لو قلنا عن النشأة مجردة من معرفة سيرته ومسيرته بيننا لقلنا: إنه رجل يتزمت! رجل ينكر الكثير، ولكن الغريب على هذه النشأة في اليمامة، وبين أشياخ من أئمة السلف والدعاة، أن يكون

هذا الشيخ محمد بن حسين رجلا فيه سماحة، وفيه طلاوة، وفيه ملاحة.. حينما يتحدث إليك لا يلمزك، ولا يستهين بك، ولا يكاد يقول لك ماذا أنت عليه!.. إن تكريمي لمحمد بن حسين في هذا المكان هو تكريم أديب من تهامة؛ لأستاذ من اليمامة.

معلم جلله العلم بنور الإيمان

وقال **الأستاذ عبدالله بغدادي** في كلمته:

محمد بن سعد بن حسين معلم جلله العلم بنور الإيمان، وكلله ببرد اليقين، ونفح عقله بسراج الحكمة، ونسمات العلم والمعرفة، فتسربل لباسه بالتقوى، وكسا رياشه الحلم، ولفاعُه الأدب، ورداؤه الرزانة، وزينتُه نور الحكمة الوهاج، وسراجها الوضاء.

زيدان

والأستاذ الدكتور ابن حسين أحد المعلمين الشامخين في مجال العربية.. يرقرق اللغة لكي يكون نميرها صافيا، وزهرها شافيا، ورحيقها عذبا، يرطب لسان الإنسان العربي لينطق بفم عربي مبين، وألفاظ واضحة سلسة.

ويقول الأستاذ بغدادي منوها بالكتاب الذي ألفه د.محمد بن سعد بن حسين عن محمد سعيد عبد المقصود خوجه أحد رواد الأدب في المملكة:

يا أيها الأديب الإنسان.. يا قاهر الظلام بنور العلم، وبفكرك الطموح تطوف به في عوالم شتى، شيخ معرة النعمان قبلك ملأ أطباق الأرض شعرا، وفلسف الكون والحياة، وكان الكوكب الساطع في ظلمة القرون الخوالي.. وجئت أنت بالحسنى فسكبت يدك أروع كتاب، كتبت صفحات من حسن الخطاب، وذلك حين أديت حق الوفاء عنا وعن أدباء المملكة لأديب من الأدباء الراحلين الباقين في دنيا الأدب، العالين علوا كبيرا، أحد الرواد المجلين السابقين في مجال الريادة.

لقد أديت حق الوفاء نحو أبي عبد المقصود رحمه الله، والذي كان يقتحم المجاهل، ويضرب في الصحراء، فاتحا مغلقات الطرق، لأدباء هذه البلاد شأن الرواد في كل جيل.

مكفوف.. يكتب للمبصرين

ويقول **د.عبد المحسن القحطاني** الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز ورئيس النادي الأدبي السابق بجدة، ذاكرا ثلاثة مواقف:

مواقفه الثلاثة هي كلمة قالها الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، ومرت عابرة، وهو أنه حينما قضت مشيئة الله أن تعكس الإبصار؛ أعطته قوة البصيرة، فيقال: إنه يكتب على الآلة الكاتبة، وأنا شاهدته قبل ثمانية عشر عاما في مصر يجيد الكتابة على الآلة الكاتبة.. لمن يكتب!؟ ليس للمكفوفين، وإنما مكفوف يكتب للمبصرين.. هذه أول حالة أشاهدها، ومازالت.. فكيف!؟ يكتب الإملاء كتابة لا يخطئ في اللغة، ولا في الإملاء.. أتتصورون ذلك!؟ ولكن ذلك يذكرني ببيت المتنبي:

بغدادي

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الجسام

هذا هو الموقف الأول.. أما الموقف الثاني فهو الوفاء.. أن يكون الابن وفيا لأبيه فشيء منتظر ومرغوب فيه، أن يكون وفيا لنده فشيء يحتمل، أما أن يكون الأستاذ وفيا لتلميذه؛ ففي ذلك نظر!.. فله أبوة حانية، وأرجو أن يكون لي بنوة رانية!..

زارني أكثر من مرة في مكتبي، ولا أكتمكم سراً أنني ظننته سيسألني حاجة لقضائها، ولكنه لم يفعل، فسوء ظني أدبني، ثم كرر الزيارات مرة تلو الأخرى.. أستاذ أكبر مني سنا، أعطاه الله قوة البصيرة، وعكس فيه الإبصار. لمس فيه الأستاذ محمد حسين زيدان ذلك الوفاء، وإذا كان وفاؤه مقبولاً أو مرتقباً، فإن وفاءه لتلميذه؛ هو غير المنظور، ولذلك فقد أخجلني كثيراً.

الأستاذ محمد بن سعد بن حسين لم أتتلمذ على يديه، ولكنه كان يدرس الفصل الذي بجواري، فجميع دفعتي تلاميذه، وتمنيت أن أتتلمذ على يديه، ولكنني لا أكتمكم أنني تتلمذت على مكفوف آخر يعرفه هو الأستاذ عبد الله المنيف.. غير أنني زاملت الأستاذ محمد بن سعد في مصر حينما كان يعد رسالة الدكتوراه، وكان معرفة.. وكنت نكرة!.

القحطاني

فقد سبقت مؤلفاته وجهده العلمي قبل أن يحصل على الدكتوراه، وإن لم تغني الذاكرة فقد حصل على لقب علمي قبل أن يحصل على شهادة الدكتوراه، وتلك ميزة أخرى.

نبّه على دقائق لم يتنبّه لها من سبقه

ويتحدث **الأستاذ جبران سحاري** المعيد بجامعة الإمام، والطالب بالدراسات العليا، عن مواقفه وذكرياته مع د.محمد بن سعد بن حسين فيقول:

عرفتُه لما كنتُ أدرُس كتابه الذي ألفه لطلاب المعهد العلمي في الرياض في المرحلة الثانوية وعنوانه: (الأدب العربي الحديث وتاريخه)، والذي أملاه من حفظه حينما كان يقوم بتدريس هذه المادة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ فكانت هذه الإملاءات تصدر على صيغة (مذكرات دراسية)، ثم إنه راجعها ولخص منها هذا المقرر لطلاب المعهد العلمي في الرياض، وكان حريصاً على تحرير المادة العلمية ورصانتها.

ومع أنه -رحمه الله- كان كفيف البصر إلا أنه رُزِق ذاكرة فتيّةً، وذهناً ثاقباً، فنبه على دقائق لم يتنبه لها من سبقه ممن صنف في هذا الميدان؛ فكنا نجده يُشير إلى طبعات دواوين الشعراء والمواضع التي حصل فيها الخلل، ويسرد فهارسها في مواضعها، ويكشف عن محتوى كل ديوان شعريٍّ يتحدث عنه معرجاً على أغراضه ومكونات مادته الأدبية، ومن ذلك أنه لما كان يتحدث عن ديوان الشيخ العلامة أحمد بن مشرّف الأحسائي المالكي قال: «ومما يجدر التنبيه عليه أن ديوانه بحاجة إلى إعادة تحقيق وضبط؛ حيث أدخل فيه ما ليس منه من الملحقات، وتم خلط الشعر بالنظم العلمي، فنهيب بالباحثين أن يقوموا بتحقيقه».

سحاري

بعد ذلك بادرتُ بزيارته في منزله تارة، وفي مسجده تارات، وكنت أستفيد منه في أوقات فراغه التي ليس عنده فيها طلاب. ولم أدرس عنده أكاديمياً، ولكني استفدت منه في مجالسَ خاصة، ورغبتُ منه إعادة طباعة هذا الكتاب فاعتذر بأن حقوقه محفوظة لجامعة الإمام، ولكنّ له كتابٌ آخر على غراره في مجلدين بعنوان (الأدب الحديث: تاريخ ودراسات) وقد أهداه لي - جزاه الله خيراً؛ كما أهدى لي كتاباً عنه أصدره الدكتور عبدالله الحيدري عن مؤلفاته وأعماله سماه (ببليوجرافيا)، وهو المسرد التفصيلي للأعمال ■